حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم
بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم
ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه
حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر
أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا
قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه
أو لأن قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل
ومنعناهم أن يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد
وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك
وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده
ولوا نفورا مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون
أن يذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا
بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه
إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون
بالهزء أي هازئين وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم
بما به يستمعون وإذ هم نجوى وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى إذ يقول
بدل من إذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أي بشر
مثلكم ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا
في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير
في أمره لا يدري ما يصنع لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة
أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا

مطلب قل كونوا حجارة او حديدا

أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون
أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته
بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود
خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته
إلى حالتها الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن
جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع
أن طباعهما الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال
الحياة أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول
الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت
وقيل السموات والأرض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في
انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع
ستركبه وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل عليه وتقسر قسرا
حتى أنك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون
التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون
وترون الهول معناه تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما
أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة
وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن
وألين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن
بقوله ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه
ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم اعتراض

Copyright © King Saud University